المجتمع

تقديم:

يطلق مفهوم المجتمع على **مجموع الافراد**، القاطنين **في رقعه جغرافيه محددة**، والذين تجمع بينهم **روابط معينه**، تثبتها **قواعد وضوابط ومؤسسات اجتماعيه**، ويكفلها **القانون**.

لا يستطيع الفرد، داخل المجتمع ان يخالف القواعد العامة للتعايش المشترك، او ينحرف عنها، لانه إن فعل ذلك، يعرض نفسه للعقاب، او السخط او اللوم. وهكذا تمارس القواعد الاجتماعية سلطة على الافراد تتجلى في القواعد الإلزامية المفروضة عليهم ، وتسمى هده السلطة **بالقهر الاجتماعي**. و يخضع المجتمع لمنطق **الوعي الجماعي** المستقل عن مجوع وعي الافراد على حدة.

يرتبط ظهور المجتمعات البدائية بالنمو الديموغرافي للمجموعات البشرية بدءا بالاسرة مرورا إلى العشيرة والقبيلة ثم المجتمعات البسيطة وانتهاء بالمجتمعات المركبة.

- فما هو اساس الاجتماع البشري: الطبيعة ام التعاقد؟
- وما دلالة الفرد؟ وما علاقته بالمجتمع؟
- ثم كيف يمارس المجتمع سلطته على الافراد؟

اساس الاجتماع البشري

كيف نشأ المجتمع؟ وعلى اي اساس؟

بالنسبة لاولئك الدين يؤكدون على اولوية الجماعة البشرية على الفرد مثل ارسطو، وابن خلدون وهيجل...، يعتبر المجتمع البشري نتيجة طبيعية املتها الضرورة على الإنسان بوصفه كائنا يحتاج إلى الاخرين من بني جنسه لتحقيق حاجاته.

يرى ابن خلدون، في تصوره المبدئي للعمران، ان المجتمع الإنساني ضروري ، وهو يقتبس القول المشهور الذي يجري على السنة الحكماء (القول الارسطي) بترديدهم ان الإنسان مدني بالطبع اي لابد له من الاجتماع، ويلتفت ابن خلدون إلى الحقيقة الازلية التي تتلخص في ان بقاء الإنسان على قيد الحياة مرهون بامرين اساسيين هما:

- القوت او الطعام الذي يحتاجه جسمه لكي يعيش وينمو،
- والدفاع الدي يقيه غائلة العدوان

وإن كلا من تحصيل القوت والدفاع يقتضي التجمع او الاجتماع، والاجتماع يكون بين المرء وبني جنسه، ومن ثم كان طبيعيا ان يعرف بالمجتمع الإنساني.

وعلى نهجه في التوضيح والتفصيل والتحليل، يقرر ابن خلدون ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء الذي يفترض انه اقل قدر من الحنطة، وان هذا القدر من الحنطة يحتاج إلى زرع وطحن وعجن وطبخ ، وان الزراعة محتاجة إلى حصاد ودرس، والطحن والعجن والطبخ ومحتاج إلى مواعين والات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري، ويستحيل ان تفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد، فلابد من اجتماع القدرات الكثيرة من ابناء الجنس الواحد، ولابد من التعاون بينهم لتحصيل الكفاية من الطعام.

ويخلص ابن خلدون إلى ضرورة المجتمع الإنساني لتحقيق الحصول إلى القدر الكافي من الطعام، وصناعة الادوات التي تستعمل في الدفاع من رماح وسيوف...، فالإنسان وحده عاجز عن مدافعة الوحوش فلابد له من التعاون مع ابناء جنسه ليكون

http://netcour.online.fr

الدفاع مؤتيا ثماره. يقول ابن خلدون: "وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له – اي الإنسان – قوت ولا غـــذاء، ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح، فيكون فريسة للحيوانات ، ويعالجه الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر " ، هكذا وبتفكير سهل اقرب إلى العفوية ، واسلوب سلس يربط ابن خلدون بين التعاون الإنساني في نطاق التجمع وبين فناء النوع البشري إذا حاد عن هذا السبيل. ولكن ابن خلدون يريد ان يصل إلى معنى العمران في نطاق من القول والفكر الاكثر تحديدا فيقول مستطردا : "وإذا كان التعاون حصل له – اي للإنسان – القوت للغذاء ، والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه ، فإذن هذا المجتمع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما اراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم " .

اما بالنسبة لاولئك الذين يعتبرون ان المجتمع (الكل) هو مجموع الافراد (مجموع الاجزاء) مثل روسو، لوك، هوبز... فمنشا المجتمع عندهم يرجع إلى الاتفاق بين الافراد، او ما يسمى التعاقد الاجتماعي.

يرى روسو إن الإنسان قبل قيام المجتمع "المدني" كان يعيش في حرية كاملة واستقلال تام، ويفترض روسو إن الإنسان كان متوحشا في الغالب لا يعرف اهله، ولعله لم يكن يعرف اولاده، ولا لغة له، ولا صناعة، ولا فضيلة، ولا رذيلة من حيث انه لم يكن له مع افراد نوعه اي علاقة يمكن ان تكون علاقة خلقية كان حاصلا بسهولة على وسائل إرضاء حاجاته الطبيعية ولم يصب إلا بالقليل من الامراض قلما كان يحتاج إلى الادوية لان الصحة إنما تعتل بالإسراف في المعيشة وبالميول المصطنعة وما ينتج عنها من إجهاد جسمي وعقلي. يرى روسو ان الحرية هي التي تميز الإنسان اكثر من الفهم. كيف خرج الإنسان من هذه الحالة؟

اضطرت الظروف الإنسان إلى التعاون مع غيره من ابناء نوعه... تعاونا موقتا كان الغرض منه صيد الحيوان... تم اضطرتهم الفيضانات والزلازل إلى الاجتماع بصفة مستديمة فاخترعت اللغة وتغير السلوك وبرز الحسد.

إن هذا الاجتماع يمثل، في راي روسو، حالة الطبيعة الخالية من القوانين والردع. ولكن تطور حياة الإنسان واتساع ضروراتها ادى إلى نشوء حالة مدنية منظمة بالقوانين تثبت الملكية ويتوطد فيها التفاوت بين الناس. وهكذا يتحول الإنسان الطيب بالطبع إلى شرير بالاجتماع.لقد اصبح الاجتماع ضروريا ومن العبث العودة إلى حالة الطبيعة. واصبح من الضرورة إصلاح مفاسده بإقامة حكومة الصالحة وتربية المواطنين الصالحين. وذلك عن طريق إيجاد مؤسسة تحمى بقوة المجتمع وتسمح بان لا يخضع إلا لنفسه، وبان تبقى له الحرية التي كان يتمتع بها من قبل.

لم تكن ملكية الارض مضمونة بما فيه الكفاية. وكان لابد من إيجاد وسائل جديدة لحمايتها. وقد لجا الاغنياء إلى الحيلة للإيقاع بالفقراء وقد ابتكروا، كما يقول روسو، ادكى خطة عندما قالوا للفقراء نتحد لكي نحمي الضعفاء من الظلم والجور، ونضع قوانين العدل والسلم وبدلا من ان نستنفد قوانا في الاقتتال نوحد انفسنا في سلطة عليا وفق الشرائع الحكيمة... وهكذا قاد تاسيس الملكية الارضية البشر إلى العقد الاجتماعي. كانت القوانين في البداية، على حد قول روسو، تفتقر إلى بعض الضوابط والمعايير الملزمة للافراد وكان المجتمع باسره يضمن احترامها والتقيد بها. لكن سرعان ما اوحى ضعف شكل الحكم هذا فكرة (توكيل افراد معينين على الوديعة الخطيرة، السلطة العامة). هكذا ظهر الولاة المنتخبون، بما ان الشعب وحّد إرادته جمعاء في مشيئة واحدة، فيما يتصل بالعلاقات الاجتماعية، فإن كل ما وضع موضوعا لهذه المشيئة صار قانونا اساسيا ملزما لجميع اعضاء الدولة بدون استثناء. وهكذا نجد ان العقد الاجتماعي لا يتمخض، من منظور روسو عن تكوين المجتمع كتنظيم سياسي فحسب، وإنما يحدد ايضا العلاقات المتبادلة بين الشعب وبين الذين انتخبهم لكي يحكموه.

لقد كان العقد الاجتماعي اداة إرادية تنازل بموجبها الافراد عن حريتهم الطبيعية لصالح فرد اخر، وادابوا إرادتهم الفردية في إرادة عامة مشتركة واتفقوا على قبول احكام هذه (الإرادة العامة) كاحكام نهائية قاطعة، وكانت هذه الإرادة العامة هي السلطة

http://netcour.online.fr

صاحبة السيادة. إن ما يخسره الإنسان من جراء العقد هو حريته الطبيعية اللامحدودة، وما يربحه بالمقابل هو الحرية المدنية وهو تملكه لكل ما ملكته يده.

على هذا الاساس يكون المجتمع "المدني" ثمرة للتعاقد الاجتماعي، مثلما ان المجتمع الطبيعي ثمرة للضرورات البيولوجية.

الـــفـــرد والـــمـــجـــتـــمـــع

ساهمت اراء روسو، و لوك، وهوبز، ومونتيسكيو، حول العقد الاجتماعي، بلورة مفهوم الفرد. ظهر مفهوم الفرد، كقيمة اجتماعية، ابان عصر النهضة بعد انهيار الإقطاع، ونشوء الطبقة البرجوازية ابتداءا القرن 15م. وتبلور مفهوم النزعة الفردية من خلال الاطروحات الفلسفية، التي بدات تبتعد عن الافكار التقليدية التي يمثلها المجتمع التقليدي، الممثل لنظام فكري وسياسي واجتماعي إقطاعي. وما عزز هذا النزوع نحو الحرية الفردية في اوروبا هو نشوء الليبرالية والديموقراطيات الحديثة بعد الثورتين الفرنسية والإنجليزية.

و في هذا السياق، يعتبر طوكفيل، وحتى ماركس، ان النزعة الفردية او الفردانية فكرة حديثة المنشا، و مرتبطة بالديموقراطية عند طوكفيل، وبالمجتمع البورجوازي عند ماركس. وقد اتاحت الفردانية للمواطنين الانعزال عن المجتمع (ما يسميه طوكفيل "كتلة الاشباه")، وبالتالي تاسيس العالم الاصغر الخاص بالفرد بعيدا عن إكراهات الاسرة او العشير او الطائفة او القبيلة كما كان الحال قبل ظهور الليبرالية. إن ما يميز النزعة الفردية، حسب طوكفيل هو:

- النظرة الانعزالية للذات والانغلاق التام خل العزلة الخاصة
- الاعتقاد في القدرة في التحكم في المصير
- الانفصال عن العلاقات العائلية والدموية والقرابية.

ينظر دوركهايم لعلاقة الفرد بالمجتمع من زاويتين مختلفتين. فهو يرى يميز بين شكلين من المجتمعات:

- مجتمعات تخضع **للتضامن الميكانيكي**
- مجتمعات تخضع **للتضامن العضوي**

تتسم المجتمعات الخاضعة التضامن الميكانيكى بما يلى:

- حجم وكثافة سكانية ضعيفة
- تنظيم اجتماعي غير متمايز (تشابه بين الافراد)
- قانون قمعي
- وعي جماعي يدمج الفرد جيدا في المجتمع

بينما مجتمعات التضامن العضوي تتصف بالاتي :

- حجم وكثافة سكانية عالية
- وظائف اجتماعية مختلفة جدا
- قانون تعاوني
- افراد متحررين

يخضع الافراد في المجتمعات ما قبل الصناعية لمبدا الارتباط الداخلي، حيث يسود التضامن الميكانيكي الذي يربط الفرد بالجماعة ويشترط تحقيق إنسانسيته داخلها على اعتبار ان المجتمع او الجماعة هما الغاية والمنتهى الطبيعي للإنسان. في المقابل، يخضع الفراد داخل المجتمعات الحديثة لمبدا التميز الوظيفي، حيث يتحدد كل فر د وفق انتمائه، ليس العرقي او

http://netcour.online.fr

الديني او الدموي او القبلي...، وإنما، السوسيو-مهني او السوسيو-اقتصادي، وذلك انسجاما مع مقتضيات الحياة الاجتماعية وانماط تقسيم العمل.

المجتمع و السلطه

لكل مجتمع اسس، وقواعد، ونظم، وضوابط يقوم عليها.. تسهر على حفظها وضمانها وصيانة استمراريتها مؤسسات. وهذه المؤسسات نوعان: مؤسسات إيديولوجية (المدرسة، وسائل الإعلام، التقاليد، الاعراف...) ومؤسسات قمعية (الدولة،الجيش، البوليس، ...). والمؤسسات، كما يدل عليها اسمها، هي كيانات اسسها الناس لتدبير الخلافات داخل المجتمع ولفرض السلطة المجتمعية.

يرى فرويد ان معظم الناس ينصاعون لسلطة المجتمع تحت ضغط الإكراه الخارجي وحده، وبالتالي كلما كان هذا الإكراه محسوسا إلا و فرض نفسه. فالانا الاعلى هو معطى خارجي يفرض نفسه على الغرائز. إن التحليل النفسي هو تعبير عن الوعي بالقمع الاجتماعي للجنس.

يذهب فرويد إلى ان الدوافع اللطيفة البناءة و المليئة بالحب لدى الإنسان ليست اولية، بل نشات بصورة ثانوية من ضرورة كبت دوافعه الخبيثة الاصلية و يرى ان الحضارة ما هي إلا نتيجة هذا النوع من الكبت إذ يعتقد ان الإنسان تتحكم فيه بالاصل دوافع شريرة و كلما نما المجتمع و تطور، إلا ومضى في إكراه الإنسان على ان يقمع و يكبت هذه الدوافع. يقول فرويد " إن كل فرد هو ... عدو للحضارة التي هي بالاساس لصالح البشرية قاطبة بوجه عام، و إنه مما يبعث على الاستغراب ان بني الإنسان الذين لا يحسنون الحياة في عزلة وعلى إنفراد يشعرون مع ذلك بوطاة اضطهاد ثقيلة بحكم التضحيات التي تنتظرها منهم الحضارة حتى تجعل حياتهم المشتركة ممكنة". فالحضارة عند فرويد قامت بشكل اساسي على مفهوم الكبت الجنسي. و لا يكفي للمحافظة عليها الاهتمام بالعمل التضامني لكون الاهواء الغريزية اقوى من الاهتمامات العقلية، لذلك على الحضارة ان تجند كل ما في متناولها لكي تحد من العدوانية البشرية عن طريق ردود افعال ذات طابع اخلاقي إلزامي.

يقول فرويد " إذا كانت الحضارة تفرض مثل هذه التضحيات الباهظة لا على الغريزة الجنسية و حسب بل و على العدوانية ايضا ، فإننا نفهم في هذه الحال فهما احسن لماذا يعسر على الإنسان غاية العسر ان يجد في ظلها سعادته " فكل حضارة ملزمة بان تشيد نفسها على الإكراه و على نكران الغرائز. إن الحرمان هو نوع من القسر الذي تمارسه الثقافة لمنع الغرائز الإنسانية من الظهور و لبقاء الإنسان فوق الواقع الحيواني البدائي الذي كان يعيش فيه، فالاخلاق يعيشها الفرد عند فرويد اولا على صورة تضحية او عذاب. لذلك نجد بان معظم الناس ينصاعون للنواهي الثقافية المتعلقة بكبت و قمع المتطلبات الغريزية العدوانية و الجنسية تحت الإكراه الخارجي والعقاب، لكن كيف يكون العقاب؟

حسب فرويد العقاب مزدوج: خارجي ممثل بالسلطة الاجتماعية و داخلي ممثل بالتربية الصارمة الاجتماعية التي يمثلها الانا الاعلى. فالإنسان منقسم بين قواه النفسية التي تعبر عن نفسها في داخل الفرد و من خلال علاقاته مع المحيط . و من هذا الجانب نلاحظ اغتراب الانا وضياعه حيث يتعين عليه ان يخدم سادة ثلاثة متنازعين وان يعيش تبعا لذلك تحت تهديد خطر ثلاثي يتمثل جانب منه من العالم الخارجي، وجانب اخر من ليبيدو الهو و غرائزه، وجانب ثالث من صرامة الانا الاعلى، و ما ينشا عن ذلك من حصر و قلق عماده الانسحاب امام الخطر. لذلك يرى فرويد ان حياتنا كما هي مفروضة علينا تقيلة الوطء و تغل اعناقنا بكثرة كثيرة من المشاق و الخيبات.

ما هي نتائج الإكراه الاجتماعي؟

إن الإكراه الاجتماعي، حسب فرود يؤدي إلى:

http://motaour-online.fr

- التحوا من الانانية إلى الغيرية اي من الانغلاق النرجسي إلى قبول الغير وخلق علاقات معه.
- طاعة اكبر عدد من الافراد للمجتمع وخضوعهم له
- القمع المتواصل لغرائز الافراد، وما يصاحبه من ردود افعال متوترة.
- تشوهات في شخصيات الافراد واستعداده الدائم لإطلاق العنان لمكبوتاتهم في اية لحظة تغيب فيها الرقابة والسلطة المجتمعية.

إذا كان فرويد يرى ان المجتمع و الحضارة يقمعان الغرائز، فإن رالف لنتون يعتقد، في المقابل ان المجتمع يعمل على الاستجابة لحاجيات الافراد، ويعمل كذلك على ترسيخ النماذج الثقافية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

ويقصد بالتنشئة الاجتماعية مجموع عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب ويستدمج الفرد العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات السائدة فى بيئته. وتتم من خلال الاساليب والطرق التي يتلقاها الافراد منذ طفولتهم المبكرة في الاسرة والمدرسة ومع الجماعات. تلك الاساليب التي تتفق مع الثقافة السائدة في المجتمع.

بعتبر رالف لنتون ان عملية التنشئة بالمعنى السابق تتم عبر "طعم الإشباع". فالمشرفون على التنشئة الاجتماعية يقدمون للفرد إشباعا مباشرا لغرائزه وحاجاته، وفي الوقت نفسه، يمررون له العادات والسوكات والمعتقدات... فالفرد يشبع جوعه عندما يقبل على الاكل لكنه يتعلم اساليب وطرق الاكل ممن هم اكبر منه.

إن المجتمع ليس اضطهادا وتعسفا، بل هو مؤسسة ظهرت لتحل المشاكل التي عصفت بالإنسان عندما كان يعيش وحشيته في حالة الطبيعة. لقد فقد الإنسان حريته المطلقة عندما دخل المجتمع، لكنه ربح الامن والاستقرار والحضارة والتقدم والرقي. ولكن ما كان للمجتمعات البشرية ان تصل إلى ما وصلت إليه لو لم يكن المجتمع ساحة للصراع والتفاعل التاريخي بين مختلف مكوناته.

http://netcour.online.fr